التعريف بمعركة طلاس(دراسة تاريخية)

م م. عباس علي حسين كسار

مديرية تربية بابل

07718340620

Abbas.aliali1991@gmail.com

الملخص

معركة نهر طلاس وقعت سنة(134هـ/ 751م). في إطار الفتوح الإسلامية بآسيا، وفيها أوقع المسلمون هزيمة ساحقة بالجيش الصيني، لكن النصر الإسلامي تم بكلفة كبيرة وضعت حدًا للفتوح الإسلامية شرقًا. من أكثر المعارك الإسلامية توغلا في قلب آسيا. واهميتها تكمن في أسر بعض صناع الورق الصينيين، ومنهم انتقل سر صناعة الورق إلى بغداد ودمشق والقاهرة، ثم الأندلس ومنها إلى أوروبا وسائر بلاد العالم. فضلا عن ذلك كانت اول وأخر صدام عسكري حدث بين المسلمين والصينيين، وأنهت نفوذ الصين في آسيا الوسطي -بعد أن سقطت قرغيزيا في ايدي المسلمين، والمعركة الوحيدة في التاريخ التي دارت رحاها بين العرب المسلمين والصينيين، وامتدت نتائجها لتشمل التقارب التركي مع المسلمين ما ساهم لاحقاً في انتشار الإسلام بين العرق التركي.وانجبت علماء مسلمين عظام كالإمام البخاري والترمذي وأبي حنيفة وغيرهم. كما أنها أدت إلي وصول الورق الصيني إلى دول الشرق الاسلامي بعد ان أسر المسلمين عدد كبير من صناع الورق الصينيين، ونقلهم الي بغداد.

واثارها تكمن في تغير طبيعة العلاقات القائمة بين الدولتين ومستواها فقد كانت العلاقات في صدر الإسلام علاقة تبادل واحترام وسفارات متبادلة وعلاقات تجارية ، لكن بعد هذه المعركة جعلت كفة الصين دون الدولة الإسلامية مما جعلهم يقبلون بالجزية ، ثم إن وضع المسلمين بالصين من العرب والفرس والأتراك لابد أن يتغير في ظل المتغيرات الجديدة إلى الأفضل في الحريات والامتيازات ومساحة الحركة والتملك ، ثم إنّ الدولة الأموية كانت في قمة مجدها وحضارتها ، فصار التبادل الحضاري والمدني يشهد مرحلة جديدة من تصدير الصناعات والحرف ، كصناعة الورق التي جلبت من الصين .

الكلمات الافتتاحية : طلاس ، الفتوح الاسلامية ، الجيش الصيني ، الورق ، طخارستان.

المقدمة

معركة نهر طلاس من معارك الفتح الإسلامي في آسيا ، إلا أن هذه المناوشات غير المعروفة بين الجيش الصيني والجيش العربي كانت لها عواقب مهمة ، ليس فقط بالنسبة للصين وآسيا الوسطى ، بل للعالم بأسره.

يعد نصر العرب المسلمين في معركة نهر طلاس سنة(134هـ/ 751م السبب المباشر وراء فشل الصين في مواصلة بسط سيطرتها على آسيا الوسطى رغم إنفاقها نصف إيراداتها؛ مما أدى إلى نهاية نفوذها، وتواجدها العسكري هناك، وانحسار تأثير ثقافتها. وإن كانت صناعة الورق التي انتقلت إلى العرب عبر طريق الحرير تعد

المساهمة صينية في بزوغ العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، فإن الحكمة الإسلامية تعد مساهمة عربية في تشكيل قاعدة قوية لسلام بين العرب والصينيين دام لعدة قرون، وهذا التلاقح الحضاري الإسلامي العربي – الصيني كان وما زال وسيظل مصدرا للسلام العالمي.

ومن هنا جاء اختيارنا للبحث الموسوم **" التعريف بمعركة طلاس (دراسة تاريخية)"** واقتضت حاجة البحث الى تقسيمه على **مبحثين** ، تسبقه مقدمه وتتلوه خاتمه تضمنت اهم النتائج التي توصل إليها البحث وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها . خصص **المبحث الأول** لدراسة **" التعريف بمعركة طلاس "** وقد انتظم بنقطتين رئيستين، تناولنا **بالنقطة الأولى ،" بدايتها "** ، اما **النقطة الثانية** فقد ابرزنا **"المصادر التاريخية التي تناولتها "**، وافردنا **المبحث الثاني** لدراسة **" ماهية المعركة "** ،حيث تناولنا فيه: احداثها، واهميتها ، نتائجها .

المبحث الاول التعريف بمعركة طلاس

اولا: بدايتها

ورث العباسيون عن الامويين سوء العلاقات واضطرابها مع الترك دون حل ، اذ لم ينجح العرب في احكام السيطرة على البلاد التي بقيت تشكل جبهة حرب خطرة ، وابرز ما يعزز هذه المرحلة هو تدخل امبراطورية الصين في شؤون تلك البلاد ، وتعاونها مع الترك في تهديدهم للدولة العربية الإسلامية من شرق الخلافة فقد اغتنم الترك فرصة انهيار الخلافة الاموية وفكروا بالاستفادة من الإمبراطورية الصينية .

وهنا لابد من الإشارة الى ان تدخل الصين لم يكن على أساس استعانة الترك بهم ، فكثيرا ما راسل الترك امبراطورية الصين طالبين منها المساعدة ، فمثلا ان الصغد ارسلوا (11) سفارة الى الصين ، وكذلك بخارى أرسلت سفارتين ، ومن طخارستان كانت هناك خمسة سفارات وكانت تلك السفارات ما بين سنة(99-113هـ/717-731م) ، وهذا يعني ان الترك يطلبون العون من الصين باستمرار الا ان الصينيين لم يقدموا العون الى الترك [1].

لكن وفاة خاقان الترك " شولو سنة (119هـ/737م) زعيم دولة الترك الغربيين (الكوك – ترك) كانت بمثابة تغير للسياسة الصينية تجاه إقليم ما وراء النهر ، فبعد نهاية دولة الكوك –ترك ، لم تشهد اسيا الوسطى دولة قوية توحد قبائل الترك حيث خلت الساحة امام المد الصيني واستطاعوا ان يبسطوا نفوذهم على الترك الشرقيين ، وبعدها اتجهوا نحو ما وراء النهر حيث الترك الغربيين المتفرقين بعد نهاية دولتهم ، وكذلك كان لانشغال الخلافة العباسية بتوطيد حكم دولتهم الناشئة الأثر في تقدم الصين نحو الإقليم [2]

ويبدو ان القصد من تقدم الصين نحو إقليم ما وراء النهر لم يكن لمجرد فرض السيطرة الساسانية فقط ، وانما كان القصد منه هو السيطرة على طرق القوافل التي تعبر متاجر الشرق الأقصى الى ما وراء النهر والشرق الأوسط واوربا . [3]

ففي سنة (131هـ /748م) احتلت القوات الصينية سوياب وخربتها ، وفي سنة(132 ه/749م)ـ نفذ الصينيون حكم الإعدام بامير الشاش الذي لم يفي لهم بشروط التبعية ، ويذكر ان أبا مسلم الخرساني بعث حملة بقيادة زياد بن صالح فالتقى بالجيش الصيني على نهر طراز وانتصر المسلمون عليهم وانسحب الصينيون بعد ذلك كما جاء في النصوص التالية " **تخالف اخشيد فرغانة وملك الشاش فاستمد اخشيد ملك الصين فأمده بمائة الف مقاتل فحصروا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين ، فلم يتعرض له بما يسوءهم ، وبلغ الخبر أبا مسلم فوجه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فظفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين الفاً واسروا نحوعشرين الفاً وهرب الباقون الى الصين ، وكانت هذه الوقعة في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين** " [4] " **وحدثت الفتنة بين اخشيد فرغانة وملك الشاش ، واستمد الاخشيد ملك الصين ، فأمده بمائة الف مقاتل وحصروا ملك الشاش حتى نزلوا على حكم ملك الصين ، فلم يعرض له ولا لقومه بسوء . وبعث أبو مسلم زياد بن صالح لاعتراضهم فلقيهم على نهر الطراز فظفر بهم وقتل منهم نحواً من خمسين الفاً واسر نحواً من عشرين الفاً ولحق بهم الصين ، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين** " [5]

وتعد هذه المعركة (معركة طلاس او طراز او تالاس) ذات أهمية كبيرة في تاريخ تركستان ، وان انتصار العرب كان يعني تحديد التوسع الصيني واستقرار النفوذ العربي الإسلامي نسبياً في إقليم ما وراء النهر .ونظراً لأهمية المعركة سوف نتطرق الى المصادر العربية والصينية التي ذكرت شيئاً عن تلك المعركة .

ثانيا: المصادر التاريخية التي تناولتها

تقسم الى قسمين :

1- المصادر العربية

ان اول المصادر العربية الإسلامية هي تاريخ بغداد لابن طيفور [6]حيث ذكر ان ابي مسلم ارسل زياد بن صالح لمحاربة القوات الصينية .

اما المصدر الثاني فهو الكامل في التاريخ لابن الاثير[7] والذي بينا ما قاله في هذا البحث ، كما موضح أعلاه حيث ذكر ان اخشيد فرغانة اختلف مع ملك الشاش " طاشقند "فطلب اخشيد فرغانة العون من امبراطور الصين ، وارسل إليه الامبراطور جيشاً عدته (100) الف مقاتل ، فحاصر هذا الجيش ملك الشاش وخضع الأخير لهم ، وعندما علم أبو مسلم بذلك ارسل زياد بن صالح لمحاربتهم وانتصر زياد عليهم وقتل منهم (50) الف واسر (20) الف ، وفر الباقون الى الصين .

اما المصادر العربية كالبلاذري واليعقوبي والطبري لم تذكر شيئاً عن هذه المعركة ويعلل بارتولد[8] ذلك قائلاً **" المؤرخون العرب الأوائل الذين شغلتهم آنذاك الاحداث التي كانت مسرحها اسيا الغربية لا يذكرون شيئاً عن هذه الواقعة "**

اما بالنسبة للمصادر الصينية لقد اخذنا روايتها وما ذكرته عن تلك المعركة من كتاب " الاتراك والإسلام – للدكتور حقي دورسون يلديز [9]الذي تناول تلك المصادر والتي تعذر حصولنا عليها .

2- المصادر الصينية

وهي أوسع واكثر تفصيلاً من المصادر العربية الإسلامية ، وقد اشارت المصادر الصينية الى تلك المعركة ، فذكرت ان قائد الجيش الصيني " كاو – هسين – تشيه " شن هجوما سنة(134هـ / 751م) على طاشقند " الشاش " واسر حاكمها الذي اخل باتفاقية الصلح فيما بينهم وارسله الى الامبراطور فقتل هناك وقام ابن حاكم طاشقند بطلب المساعدة من مجاوريه ، فقامت مدن كشغر وخوتان وغيرها بالتحالف مع العرب ، وعندما علم قائد الجيش الصيني " كاو – هين – شيبه " بذلك ارسل جيشاً عظيماً لمواجهة العرب وتلاقى الجيشان قرب طالاس ، ودارت المعركة بينهما واستمرت لمدة خمسة أيام انتصر فيها العرب على الصين . [10]

وبهذا نرى بان ما ورد في المصادر الصينية من ان سبب احتلال الصين لطاشقند كان بحجة ان حاكمها اخل بالاتفاقية ، وهذا ما يخالف **رواية ابن الاثير**[11] الذي ذكر " **ان سبب الاحتلال الصيني لمدينة الشاش " طاشقند " كان على اثر اختلاف حاكم الشاش وحاكم فرغانة "**

والمرجح بين الروايتين ان احتلال الصين للشاش ومحاولتها في مد نفوذها ، يعود الى أسباب رئيسية ، **الأول** هو مد النفوذ السياسي للإمبراطورية الصينية ، **والثاني** هو ان الشاش " طاشقند " حسب نظرة الصين كانت تمثل باقيا امارات دولة الـــ " كوك – ترك " [12] ، وهذا يعني خوف الصين من توحد الامراء الترك وقيام دولة أخرى كسابقتها ، اما **السبب الثالث** فهو كما اشرنا سابقا هو محاولتهم في السيطرة على طرق القوافل التجارية المهمة [13]وهو المهم لكونه سبباً اقتصادياً كانت الإمبراطورية الصينية تطمح إليه .

وتستمر المصادر الصينية بسرد الاحداث فتذكر ان ابن حاكم طاشقند ، كان قد خرج لطلب العون ممن كان يجاوره ، وكانت قبائل القارلوق تسكن في الجوار من طاقشند وهي على علاقة جيدة مع الحاكم المقتول ، وما كان من قبائل القارلوق الا أن تلبي طلب الأمير وتوحد صفوفها مع بقية الترك ضد الجيش الصيني [14]، ومن المثير ان نفس المصادر الصينية تذكر بأن القارلوق خونه لانهم كانوا ضمن صفو الجيش الصيني اثناء معركة طالاس وانشقوا عن الجيش وحاربوهم الى جانب الترك والجيش العربي فكانوا ممن تسبب في هزيمة الصين في المعركة . [15]

وعلى اية حال فان انتصار العربي المسلمين في معركة طالاس يعد نهاية للتدخل العسكري الصيني في إقليم ما وراء النهر .

لذلك نستنتج ان المصادر الصينية تنظر الى القارلوق على انهم خونة لانخراطهم ضمن صفوف الترك ضد الصين ،لما كان للقارلوق من علاقات سياسية مع الصين ، الا ان المار ذكره يظل من وجهة المصادر الصينية ،

وان القارلوق لابد ان يكون لهم فهم اخر من انهم ترك ولا بد لهم من الانحياز الى أبناء جلدتهم وعليه يكون موقفهم طبيعيا بل عين الصواب في نصرتهم للترك ضد الصين .

المبحث الثاني

ماهية المعركة

اولا: أحداثها

حشد الصينيون 30 ألف مقاتل طبقًا للمصادر الصينية، و100 ألف مقاتل طبقًا للمصادر العربية، وكان "جاو زيانزي" على رأس الجيش الصيني، وفي يوليو 751م اشتبكت الجيوش الصينية مع الجيوش الإسلامية بالقرب من مدينة "طلاس" أو طرار، والتي تقع على نهر الطلاس بجمهورية قرغيزيا.

اشتبكت الجيوش الإسلامية مع الجيوش الصينية، وحاصر فرسان المسلمين الجيش الصيني بالكامل، وأطبقوا عليه الخناق؛ مما أدى إلى سقوط آلاف القتلى من الجانب الصيني، وهرب "جاو زيانزي" من المعركة، بعد أن خسر زهرة جنده. أما زياد بن صالح فقد أرسل الأسرى -وكانوا 20 ألفًا- إلى بغداد، وتم بيعهم في سوق الرقيق. من أغرب ما حدث أن العرب لم يحاولوا التوغل في الأراضي الصينية ويستثمروا إنتصارهم. وهذا ما أثار ولا يزال يثير حيرة الباحثين التاريخيين لغاية يومنا هذا. إهتم المؤرخين السوفييت والصينيين بهذه المعركة، وأظهروا إستغرابهم من هذا التصرف. ولكن المطلع على تاريخ الدولة العباسية يمكن أن يعزي ذلك إلى عدم إستقرار قواعد الدولة الجديدة، وإنشغال والي خراسان، أبي مسلم، بأولويات أخرى متعلقة بالخلافة والصراع عليها. (16)

ثانيا: أهميتها

ترجع أهمية المعركة في أنها كانت أول وآخر صدام عسكري حدث بين المسلمين والصينيين، كما أنها أنهت نفوذ الصين في آسيا الوسطى بعد أن سقطت قرغيزيا في أيدي المسلمين؛ حيث تم صبغ تلك المنطقة (آسيا الوسطى) بصبغة إسلامية، بعد أن أسلم أكثر قبائلها، وغدت مناطق إشعاع إسلامي وحضاري، وأنجبت علماء مسلمين عظام كالإمام البخاري والترمذي وأبي حنيفة وغيرهما، وأنها أدت إلى وصول الورق الصيني إلى دول الشرق الإسلامي بعد أن أسر المسلمون عددًا كبيرًا من صُنَّاع الورق الصينيين، وتم نقلهم إلى بغداد. وبنهاية هذه المعركة انتشر الإسلام سريعًا في بلاد آسيا الوسطى، واختفى النفوذ الصيني بما يحمله من أفكار ضد الإسلام نهائيًّا، كما أدت هذه المعركة إلى تثبيت أركان الدول الإسلامية خارج أراضي آسيا الوسطى؛ لما عرفه الناس عن الجيش الإسلامي من أنه "قوة لا تقهر"، مما جعل القبائل تخشى من التعرض للمسلمين على أرضها. ومن ثَمَّ كانت معركة طلاس بمنزلة فتحٍ عظيم ليس للإسلام في آسيا الوسطى فقط، بل في بقية البلاد المحيطة بها. (17)

ثالثا: نتائجها

1- التبادل الحضاري :

اسـر العرب عدد كبير من الصـينيين وقيل ان نقل منهم الى سـمرقند كما نقل منهم 20 الف الى العراق معهم العديد من فنيين ومثقفين والحرفيين وابرز اثارهم هو ان نشـروا صـناعة الورق واذاعوها في سـائر البلدان اذ ان هذه الصناعة ضلت سرا حتى كشف العرب ذلك السر بعد تلك المعركة ففي اول الامر نقل الاسرى الى سمرقند وعملت لهم ورشـة لصـناعة الورق في تلك المدينة وبعد ذلك انتشـرت في البلاد العربية فأنشـئت مئات المحلات المكرسة لنسخ الكتب على نطاق واسع ثم انتقل ذلك السر الى الاندلس ومن هناك الى اوربا([18]) وجملة القول ان من اهم نتائج المعركة اثر حضـــاري واضـــح وكبير عم اغلب ســـكان العالم القديم وكان لها اثر كبير في الثقافة العالمية .

وكان ايضـــا هناك ســـباكون ونســـاجون افادوا البلاد العربية بكفاءتهم الفنية ، كما نقلوا الى العرب صـــناعة الخزف الصـيني وهذا الامر مذكور في مذكرات دو هوان والذي سـوف نذكر خبره في الفقرة القادمة و ذكر ذلك الصـــيني كيفية تعليم ابناء بلاده للمســـلمين تقنيات صـــناعة النســـيج وتكفيت الاواني المعدنية بالذهب ، وقيل ان الاواني الصينية الطراز نالت اعجاب الخليفة العباسي هارون الرشيد عندما وردته مجموعة منها من الامير علي بن عيسى حاكم الدولة العباسية في خرسان([19]) .

وتجب الاشـارة ان رغم تعلم العرب للخزف الصـيني الا انهم لم يتمكنوا من انتاجه بالصـلصـال الصـناعي الصـلب والسـطح الابيض اللامع وذلك لاسـباب عدة من اهمها عدم توافر المواد الخام التي يسـتخدمها الصـينيون في مناطق الدولة العباســية وتوافرها في مناطق محددة من الصـــين وكذلك عدم قدرة الصـــناع المســـلمين الى الوصـول الى تقنية بناء افران لصـناعة الخزف تصـل درجة حرارتها الى المسـتوى العالي المطلوب لانتاجها لذا اكتفوا بتقليد المنتجات الصينية من حيث شكلها الخارجي ولونها اللامع فحسب .

واسهمت هذه المعركة فيما بعد على اطلاع الصينيين على حضارة العرب واحوالهم الثقافية ومعرفة تقاليدهم عن طريق بعض الاسـرى الذين عاشـوا بين المسـلمين ثم عادوا الى الصـين وكان من بين هؤلاء دو هوان الذي ظل بين العرب لمدة اثنى عشر سنة فتجول في اقاليم اسيا الوسطى والعراق والجزيرة العربية ومن المناطق التي زارها الجامع الازهر والف كتاب عن العرب كان بعنوان "رحلة الى بلاد الكتاب " ســـجل فيه احوال العرب والمسلمين ولايزال هذا الكتاب مرجع المسلمين في الصين في امور الدين([20]) .

كان الكتاب كتابا جغرافيا ذكر فيه اوصـــاف البلدان العربية ومواقعها وجبالها والانهار فيها وحياة ســـكانها وعاداتهم وتقاليدهم وديانـاتهم وقال الباحثون عن ان دو هوان ســـجل ملاحظاته بكل دقة وصـــدق وهي معلومات

اساسية وصحيحة ومن الامور الدينية التي ذكرت في المدون الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وخطبة الامام في هذه الصلاة وتحريم لحم الخنزير والخمور وما الى ذلك([21]).

كما ان المسلمين الذين استقروا في الصين قاموا بنقل العلوم الفلكية العربية المتقدمة الى الصين واعتمادا على هذه العلوم طور علم الفلك في الصين ورسخ علم الجغرافية ايضا وقفز بها قفزات علمية واسعة وذكرت المصادر الصينية ان فلكي عربي يدعى معزى وصل في القرن الرابع الى الصين ونقل العلوم الفلكية العربية المتقدمة ومنها النظام الاسبوعي الذي يحدد على اساسه صلاة الجمعة وقبل ذلك كان الصينيون يتبعون النظام العشري لتحديد يوم العطلة وكذلك ادخل ذلك العالم طريقة حساب مواعيد الاثنى عشر برجا ومواقعها بالنسبة الى المدار المفترض للشمس وهذا شيء جديد على علم الفلك الصيني وكان للعرب كفاءة كبيرة في حساب ذلك نظرا لخبرتهم في التنجيم على اساس البروج الاثنى عشر ([22]).

2- انتهاء السيادة الصينية

تمكن المسلمون من احتلال واحات اواسط اسيا في شمال جبال الهندوكوش والى قطع الاتصال المباشر بين الهند والصين وقد ادى ذلك الى وضع حد للهيمنة الصينية في اسيا الوسطى وبدا الايذان ببدء الهيمنة الاسلامية في تلك المناطق([23])، واشار احد الباحثين بانهم **(لم يخسروا بلاد ماوراء النهر فحسب بل دمرت وانهارت مواقع الدفاع الاربعة طوكان وكشغر وكوتشي وقرامسهر وعرف الصينيون ضعفهم وخسروا داخل اسيا واستمر ذلك الى ايام المغول) ([24]).**

3- **انتهاء التحالف الصيني التركي**

انتهى التحالف التركي الصيني ضد العرب رغم كونه تحالف قديم وتشير احدى الروايات الى بداية الخلافة العباسية ان قام الطرفين ببعض الفتن داخل سمرقند واستطاع صبيح بن مسلم معاون ابي مسلم الخرساني ان ياسر عدد من رجال التمرد من الاتراك ومعهم قائد صيني ([25]).

4- انتشار الاسلام

انتشر الاسلام بعد هذه المعركة في اسيا الوسطى وابتدات القبائل التركية تظهر باعداد كبيرة في العالم الاسلامي واول من بلغ درجة التوطن التام قبائل القورلوق والاليكخانيون وذلك بعد نزولهم من فرغانة ثم اعتناقهم الاسلام واستمر انتشار الاسلام بشكل تدريجي حتى غلب على تلك المناطق في القرن الثالث والرابع الهجري ومثال على ذلك ان في سنة 350هـ اعتنق ذلك الدين 100 الف خيمة ([26]) اذن كانت هذه المعركة البوابة لنشر الاسلام بين قبائل البدو التركية بعد الاستقرار الذي نعمت به المنطقة.

5- سيادة العرب والسيطرة على طريق الحرير

اصبح الجيش العربي قوة لا تقهر في اسيا الوسطى واختفى النفوذ الصيني من التمدد نحو الغرب بشكل نهائي وتم بروز الدولة الاسلامية في التاريخ والسياسة في مناطق الشرق القديم وثبتت الحدود بين آسيا الوثنية وآسيا العباسية ومن جهة اخرى غدت قبائل الترك تخشى التعرض للمسلمين على ارضها فكانت المعركة بمثابة فتح عظيم وحاولت بعض القبائل بعد هذه المعركة الاستعانة بأباطرة الصين مرة اخرى لكن هؤلاء الملوك كانوا من الحكمة والسياسة ان خافوا على عروشهم من سطوة العرب ولاسيما بعد ان جربوا حظهم في تلاس ([27])، اما امراء فرغانة واشروسنة واخشيد الصغد وملوك كابل وطخارستان كان ولائهم للعباسيين فرضخوا للمسلمين واصبحوا جزء من دولتهم([28]) ، اي ان العرب سيطروا على اقليم ماوراء النهر المتمثل بطريق الحرير واستمرت تلك السيطرة للمئة عام التالية(29) .

ويمكن القول بان تجنب الصدام مع العرب من قبل الاباطرة الصينيون كانت له اسباب اخرى ابرزها انشغالهم بمشاكلهم الداخلية بل انهم اخذوا يستعينوا بالمسلمين لنجدتهم في بعض الاحيان فقيل ان الامبراطور سوتسنج او سوزونغ استعان بالعرب لقمع التمردات الداخلية التي حصلت في مملكته والتي قام بها اثنان من القواد التتار فأعاد سيطرته على الجهة الداخلية بفضل العرب بعد ان زوده ابو جعفر المنصور ب20 الف مقاتل وكان ذلك سنة 757 وبفضل هذه النجدة قد استتبت له الامور وقد اشاد بهذا الموقف المؤرخين الصينيين امثال تانج شو في تاريخه .

وبلغ من تحسن العلاقات مع الصين ان ازدادت نسبة العرب هناك ثم ازدادو نفوذا بفعل تقربهم من الاباطرة وطابت لهم الاقامة في كانتون([30]) ، وتحولت العلاقة الى علاقة ود وتبادل مصالح خصوصا في عهد اسرة تانغ فشهدت تلك الفترة علاقات دبلوماسية وتجارية مزدهرة بين الطرفين وتم تبادل الوفود الرسمية واستقر التجار هناك في مدينة خانفو وبلغ عدد السكان المقيمين فيها نحو مائة الف وذكر سليمان السيرافي اثناء وجوده هناك انه رأى في خانفو كثيرا من المسلمين وكان هناك قاضي مسلم يتولى امرهم فاذا كان العيد صلى بهم وخطب ودعا للمسلمين كما ان الجنود الذين ساعدوا الامبراطور في قمع الثورة استقروا في تلك المدينة وتزوجوا بنساء صينيات وحافظوا على حياتهم الدينية الاسلامية([31]) .

وفي مدينة تشان آن عاصمة الصين ومقر الملك كان هناك جالية مسلمة وكذلك في مدينة الزيتون الواقعة على المحيط اذ يصفها القلقشندي بانها مدينة مشهورة على السنة التجار المسافرين الى بلاد الصين فهم يتمتعون هناك بالامان اذ كانت الصين اكثر البلاد امانا واحسنها حالا للمسافرين واذا وصل تاجر مسلم الى الصين يخير بين الاقامة في فندق او عند تاجر مسلم مقيم في المدينة فان نزل عند تاجر يحصي ماله ويضمنه وان نزل في فندق يودع ماله امانة لدى صاحب الفندق ([32]).

وكان للتجار خلال العصر العباسي مكانة رفيعة لدى الحكام الصينيين والشعب الصيني وقد روي ان تاجرا عربيا تم منحه لقب السيد النبيل ولتسهيل عمل التجار اصدرت الامبراطورية الصينية اوراقا مالية – صكوكا - لاول مرة تداولها التجار ومنهم المسلمون على نحو واسع واطلقوا عليها انذاك اسم الاموال الطائرة وذلك لسرعة تداولها بينهم وساهم التجار على نحو كبير في نشر الدين الاسلامي في اثناء رحلاتهم التجارية فقد كان بينهم علماء دين ساهموا في نشر الدعوة الاسلامية مثل ابي الحسن الانصاري الاندلسي الذي كان فقيها وعالما ومثقفا وكان احد تلاميذ الامام الغزالي([33]).

كما عززت علاقات الصين بالعرب والمسلمين استمرار الدعم العسكري العباسي للإمبراطورية الصينية خلال حوادث اخرى لاحقة اهمها الغزوات المتكررة لقبائل التغزغز وهي غزوات اضعفت قدرات الامبراطورية الصينية خلال حكم الخليفة المهدي والخليفة المتوكل ولاشك في ان دفع الصين الاتاوة سنوية يشير بوضوح الى ولائها للدولة العباسة في تلك المرحلة من التاريخ وقد حرص الاباطرة الصينيون على الترحيب بكبار التجار المسلمين واقامة علاقات بينهم واعتادوا ان ياتوا الى الاباطرة بهدايا ثمينة ومما يدل على قوة العلاقات الاسلامية الصينية انذاك ان الاباطرة الصينيين سمحوا للخطباء بذكر اسم الخليفة العباسي على منابر مساجد الصين والدعاء له وهذا ماذكره السيرافي الذي كان في خانفو لاعمال تجارية ولا شك في ان الدعاء للخليفة فيلا خطبة الجمعة وسك العملات باسمه وتزيين ملابسه الرسمية باسمه وهو يعرف باسم الطراز وهو من اهم شارات الخلافة في الدولة الاسلامية([34]) .

مما تقدم نستدل بان الجانب الصيني قد اركن للسلم بسبب ظروفه الداخلية كما ان العرب لم يحاولوا استغلال ذلك الانتصار ليتوغلوا داخليا ويوسعوا من فتوحاتهم والسبب في ذلك ان هدف الدولة العباسية هو ليس التوسع والسيطرة بل هو السيطرة على طريق الحرير المار بتلك المناطق .

ومن جهة اخرى كان استقرار الصين هو لمصلحة الدولة العباسية من اجل ان تسير الحركة

التجارية بانسيابية كاملة اذ ان فقدان الامن سوف يخل بعملية التبادل التجاري بين الخلافة العباسية وبلدان المشرق .

الخاتمة

- كان المسلمون يتطلعون لفتح بلاد الصين، ولكن بعد وصولهم إلى حدودها خاضوا معركة واحدة، وبعد انتصارهم في هذه المعركه فقد قرَّروا العودة.
- كانت الاهمية الكبرى في هذه المعركة هو أسر بعض صناع الورق الصينيين، ومنهم انتقل سر صناعة الورق إلى القاهر وبغداد ودمشق، ثم الأندلس ومنها الى سائر بلدان العالم.

- أوقع المسلمون هزيمة ساحقة بالجيش الصيني في معركة نهر طلاس التي وقعت في شهر ذي الحجة من سنة(134هـ/751م). في إطار الفتوح الإسلامية بآسيا.
- كان النصر الإسلامي في معركة طلاس بكلفة كبيرة وضعت حيث وضعت حدًا للفتوح الإسلامية شرقًا. حيث كانت أكثر المعارك الإسلامية توغلا في قلب آسيا.
- تاريخيا كان الاتراك والصينيين في نزاع شديد استمر لقرون طويلة ولما كان المسلمين يفتحون العالم الشرقي قد وصلوا إلى حدود الصين وفي معركة طالاس كان يمر من هناك اتراك متجولين في تلك الارض فلما رائو الجيشان ملتحمان انضم الاتراك لمساندة المسلمين ضد الصينيين وشكل الأتراك والعرب المسلمون تحالفا لأول مرة في التاريخ
- كانت معركة طلاس نقطة تحول في العلاقات التركية الإسلامية وأسلمة الأتراك.
- حسمت نتيجة المعركة بهزيمةٍ ساحقة للجيش الصيني، ولكن أهم نتيجة لهذه الحرب أنها كانت نقطة تحول مهمة للغاية في منطقة آسيا الوسطى وتاريخ طريق الحرير، كما توقّفت أيضاً الفتوحات الإسلامية في تلك المنطقة.
- من ناحية أخرى كانت معركة تالاس هي المعركة الوحيدة في التاريخ التي دارت رحاها بين العرب المسلمين والصينيين، وامتدت نتائجها لتشمل التقارب التركي مع المسلمين ما ساهم لاحقاً في انتشار الإسلام بين العرق التركي.

الهوامش

(1) Gibb ،w .A .R – The Arabs Conquests in Center London، 1932. P.60
(2) محمود ، حسن احمد ، الإسلام في اسيا الوسطى ، (القاهرة : د. م ، 1972م) ، ص156 .
(3) محمود ، شريف ، احمد إبراهيم ، العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول ، ط5 (القاهرة : دار الفكر العربي ، د. ت) ، ج1 ، ص176 .
(4) ابن الاثير ، علي بن ابي الكرم ،(ت630هـ/1232م) ،الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1987م) ، ج5 ، ص90-91 .
(5) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ /،1405م)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، راجعه : سهيل زكار ، (بيروت : دار الكتب ، 2000م) ، ج3 ، ص224 .
(6) أبو الفضل احمد بن ابي طيفور (ت280هـ /893م) ، تاريخ بغداد ، تح : محمد زاهد الكوثري وعزت العطار الحسيني ، (القاهرة : د. م ، 1949م) ، ج6 ، ص12 .
(7) ابن الاثير ، الكامل ، ج5 ، ص90-91 .
(8) فاسيلي فلاديمير وفتش ، تاريخ الترك في اسيا الوسطى ، ترجمة : احمد السعيد السليمان ، (القاهرة : د. م ، 1958م) ، ص319 .
(9) Hakki Dr. Yildiz- ISLAMIYET VE TURKLER ، Dursun ، ISTANBUL ،1976 ، P. 86-88
(10) Yildiz ، ISLAMYEST VE TURKLER ، P. 86 محمود ، شريف ، العالم الإسلامي ، ص177 ؛
(11) ابن الاثير ، الكامل ، ج5 ، ص90-91 .
(12) Yildiz ، . p. 86
(13) محمود ، شريف ، العالم الإسلامي ، ج1 ، ص176 –ص177
(14) Yildiz،8 p. 8
(15) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة : د. م ، 1966م) ، ج7 ، ص460- 464 .

([16]) علاء فاروق ، نهاية الوجود الصيني في اسيا الوسطى ، مقال على النت ، 2011م ، ص2 .
([17])المصدر نفسه، ص2 .
([18]) محمد السني ، الثورة وبريق الحرية ، ص61 .
([19] مجموعة من الباحثين ، العرب والصين ، ص50 .
([20])نجلاء حسن حامد ، المسلمون في الصين ، مجلة الفيصل ، 2013 ، ص80 .
([21]) يونس ، رحلة بكين ، ص218.
([22])محمد عبد الرحمن يونس ، رحلة بكين ، ص219.
([23]) الوعي بالعالم ، ص323 .
([24]) طه خضير عبيد ، الحضارة العربية الاسلامية ، ص232 .
([25]) البيهقي ، المحاسن والمساوء ، ج1 ، ص202.
([26])رسول ، الاوضاع الحضارية في بلاد ماوراء النهر ، ص45.
([27]) محمد محمود زيتون ، الصين والعرب في التاريخ ، ص31 .
([28]) فاروق فوزي ، قراءات ومراجعات في التاريخ الاسلامي ، ص374 .
([29]) وان لي ، قراءات اول سجل رحلات صيني ، ص11.
([30])زيتون ، الصين والعرب ، ص31.
([31])مجموعة من الباحثين ،العرب والصين ، ص51.
([32] المصدر نفسه ، ص53.
([33])المصدر نفسه ، ص53.
([34])المصدر نفسه ، ص54.

قائمة المصادر والمراجع

أولا / المصادر العربية

- ابن الاثير ، علي بن ابي الكرم ،(ت630هـ/1232م)

1. الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1987م)

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ /،1405م)

2. تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، راجعه : سهيل زكار ، (بيروت : دار الكتب ، 2000م)

- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ/922م)

3. تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة : د. م ، 1966م)

ثانيا /المراجع العربية

- فاسيلي فلاديمير وفتش

4. تاريخ الترك في اسيا الوسطى ، ترجمة : احمد السعيد السليمان ، (القاهرة : د. م ، 1958م)

- محمود ، حسن احمد

5. الإسلام في اسيا الوسطى ، (القاهرة : د. م ، 1972م)

- محمود ، شريف ، احمد إبراهيم

6. العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول ، ط5 (القاهرة : دار الفكر العربي ، د. ت)

ثالثا / المصادر الإنكليزية

- Gibb

7. w .A .R – The Arabs Conquests in Center London

رابعا/ المجلات والدوريات

- نجلاء حسن حامد

8. المسلمون في الصين ، مجلة الفيصل ، 2013

List of sources and references

First / printed sources

(1) Gibb ،w .A .R – The Arabs Conquests in Center London ،1932. P.60

(2) mahmud , hasan ahmad , al'iislam fi asia alwustaa , (alqahirat : da. m , 1972m) , si156 .

(3) mahmud , sharif , aihmad 'iibrahim , alealam al'iislamiu fi aleasr aleabaasii al'awal , ta5 (alqahirat : dar alfikr alearabii , du. t) , ji1 , si176 .

(4) abn alathir , ealiin bin abi alkaram ,(ta630h) , alkamil fi altaarikh , rajieh wasahahah muhamad yusuf aldaqaaq , (bayrut : dar alkutub aleilmiat , 1987m) , ji5 , sa90-91 .

(5) abn khaldun , eabd alrahman (t808h 9 , tarikh abn khaldun almusamaa diwan almubtada walkhabar fi tarikh alearab walbarbar waman easarahum min dhawi alshaan al'akbar , rajaeah : suhayl zakaar , (bayrut : dar alkutub , 2000m) , ji3 , sa224 .

(6) 'abu alfadl aihmad bin abi tayfur (ta280h) , tarikh baghdad , tah : muhamad zahid alkuthari waeizat aleataar alhusaynia , (alqahirat : da. m , 1949m) , ji6 , si12 .

(7) abn alathir , alkamil , ji5 , sa90-91 .

(8) fasili fladimir wafatsh , tarikh alturk fi asia alwustaa , tarjamat : aihmad alsaeid alsulayman , (alqahirat : da. m , 1958m) , si319 .

(9) Dr. Hakki Dursun Yildiz- ISLAMIYET VE TURKLER ،ISTANBUL ،1976 ،P. 86-88

(10) Yildiz ،ISLAMYEST VE TURKLER ،P. 86 ; Mahmoud, Sharif, The Islamic World, p. 177

(11) abn alathir , alkamil , ji5 , sa90-91 .

(12) Yildiz ،p. 86 .

(14) Yildiz ،p. 88.

(13) mahmud , sharif , alealam al'iislamiu , ji1 , sa176 -s177.

(15) altabariu , 'abu jaefar muhamad bn jarir (t310h) , tarikh alrusul walmuluk , tah : muhamad 'abu alfadl 'iibrahim ,(alqahirat : da. m , 1966m) , ji7 , sa460- 464 .

(16) eala' faruq , nihayat alwujud alsiynii fi asia alwustaa , maqal ealaa alanit , 2011m , s2 .

(17)ela' faruq , nihayat alwujud alsiynii , si2 .

(18) muhamad alsuniy , althawrat wabariq alhuriyat , si61 .

(19) majmueat min albahithin , alearab walsiyn , sa50 .

(20)najala' hasan hamid , almuslimun fi alsiyn , majalat alfaysal , 2013 , si80 .

(21) yunus , rihlat bikin , sa218.

(22)muhamad eabd alrahman yunus , rihlat bikin , sa219.

(23) alwaey bialealam , sa323 .

(24) tah khadir eubayd , alhadarat alearabiat alaslamiat , sa232 .

(25) albayhaqi , almahasin walmasawi' , ji1 , sa202.

(26)rsul , alawudae alhadariat fi bilad mawara' alnahr , sa45.

(27) muhamad mahmud zaytun , alsiyn walearab fi altaarikh , si31 .

(28) faruq fawzi , qira'at wamurajaeat fi altaarikh alaslamii , sa374 .

(29) wan li , qira'at awl sajal rihlat siniin , sa11.

(30)zitun , alsiyn walearab , sa31.

(31)majmueat min albahithin ,alearab walsiyn , sa51.